

تأريخ الغناء والموسيقى في التراث العربي من الجاهلية إلى عصر بني أمية

سعد عدوان وهيب

المقدمة

الحمدُ لله ربَّ العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ، ومن سار على هديه إلى يوم الدين ، أما بعد :-
فقد استخدمت الأمم والشعوب القديمة فن الغناء و الموسيقى منذُ أقدم العصور ، فهي تشكل وجهاً حضارياً وجانباً لا يمكن إغفاله في تراث الأمم ، حتى قال بعض حكماء الصين قديماً : ((إذا أردت أن تعرف مبلغ حضارة أمة فأسمع موسيقاها))⁽¹⁾.

ومن هذا المنطلق فإن الهدف من وراء هذه الدراسة هو الاطلاع على حضارة وتراث الأمة العربية ، وذلك من خلال التعرف على فن الغناء والموسيقى في العصرين الجاهلي والإسلامي ، ولذلك جاء عنوان بحثي تحت عنوان (تأريخ الغناء والموسيقى في التراث العربي من الجاهلية إلى عصر بني أمية) .

ففي العصر الجاهلي أدرك العرب أهمية الغناء والموسيقى ، لذلك تطرقتُ في هذا العصر عن أصل الغناء ومما تكون ، وبماذا ارتبط لا سيما أن شعرنا العربي تميز بالغناء منذُ أقدم العصور وكذلك فقد ذكرت ما ضمنه الشعراء في قصائدهم الشعرية بعض من أسماء الآلات الموسيقية المختلفة.

ومثلما عرف العرب في عصر قبل الإسلام فن الغناء والموسيقى شهد مطلع العصر الإسلامي الموضوع نفسه ففي عصر صدر الإسلام ذكرت بعض من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تبين موقف الإسلام من هذا الفن وماشده هذا العصر من انفتاح المسلمين وامتزاجهم بالأمم المجاورة من غير العرب حين

وموطن الشاهد في هذا النص القرآني يكمن في لفظتي (مكأً وتصدية) إذ إن معنى مكأً هو الصفير ومعنى التصدية هو التصفيق⁽⁷⁾ .

وجاء في (العقد الفريد) لابن عبد ربه الأندلسي (ت 328هـ) إنه كانت هناك قينتان لعاد يطلق عليهما جرادتا عبد الله بن جدعان وكانتا تجذبان الناس بغنائهما في العصر الجاهلي :-

أَلَا يَا قَيْلَ وَيْحَكَ قُمْ فَهَيْئَمَ لَعَلَّ اللَّهَ يَصْبِحُنَا غَمَامَا

إذ إن المسوخ من هذا الغناء هو الدعاء وذلك من أجل نزول المطر بعد أن حُبس عنهم⁽⁸⁾ .

وتحدث الإمام الغزالي (ت 505هـ) في كتابه (إحياء علوم الدين) عن استخدام الحجيج للغناء والموسيقى في قوله :-

((إنهم أولاً يدورون في البلاد بالطبل والشاهين والغناء ، ... ، إنها أشعار نظمت في وصف الكعبة والمقام والحطيم وسائر المشاعر ووصف البادية وغيرها ، وأثر ذلك يهيج الشوق إلى حج بيت الله تعالى ...))⁽⁹⁾ .

وقد كان من شدة اهتمام عرب الجاهلية بالموسيقى والغناء إنهم كانوا يرقصون أولادهم الصغار من خلال وصلات غنائية شعرية ، إذ إنهم كانوا يبتغون من وراء ذلك الدعاء للطفل حتى لا يصيبه أذى أو مكروه في الحاضر أو المستقبل⁽¹⁰⁾ .

وذكر د.ناصر الدين الأسد في كتابه (القيان والغناء في الشعر الجاهلي) إلى أن فن الغناء والموسيقى قد ((نشأت ، في أحضان الدين ، واتخذت ، أول ما اتخذت ، وسيلة تقرب العابدين إلى تلك القوى الغامضة التي كانوا يعتقدون إنها تسيطر عليهم ، وينزلقون بهذه الفنون إليها ، يبتغون رضاها ، ويتجنبون سخطها))⁽¹¹⁾ .

ويخلص إلى القول إلى إن ((غناء الحرب والنواح ، وغناء الولائم الخاصة ، كالعرس والأعداء ... فيها من الشعائر والمناسك الدينية ما بين بوضوح هذه الصلة القوية بينها جميعاً ، وما يجعلني أرجح أن الغناء فيها هو غناء ديني ، أو مشتق منه متفرعاً عنه))⁽¹²⁾ .

والثاني :- أدبي وهو الشعر إذ إن للغناء علاقة وطيدة بالشعر منذ القدم وهذا ما أشار له د. ناصر الدين الأسد في قوله :- ((والصلة بين الشعر والغناء صلة قوية تهوي في أعماق القدم حتى نصل إلى نشأة الشعر ومبدئه ، ... ، وتمتد حتى تشمل الشعوب كلها في الشعراء جامع))⁽¹³⁾ وهذا الارتباط الوثيق له من الأهمية التي لا يمكن إغفالها ، إذ كان ابن قتيبة (ت 276هـ) واعياً بأهمية الغناء في الشعر العربي وهذا يتضح عند ترجمته للشعراء فهو يذكر الأشعار التي كان يتغنى بها فمثلاً عند ترجمته لامرئ القيس يذكر شعره الذي يتغنى به (14) نحو :

فَقَا نَبَكِ مِنْ ذَكَرِ حَبِيبٍ وَمَنْزَلِ

بَسَقَطَ اللَّوِي بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ⁽¹⁵⁾

إذ تكمن أهمية الغناء في تخليص القافية من بعض العيوب التي كان يقع فيها بعض الشعراء وفي مقدمتهم النابغة إذ كان ((يقوي في شعره فدخل يثرب فغنى بشعره ففطن ولم يعد للإقواء))⁽¹⁶⁾ وبذلك فقد كان له دور في ((توجيه الشعر ليناسب التقاليد الأدبية المتعارف عليها ولقد نص القدماء على هذه العلاقة المتداخلة بين الطرفين فغلقوا الغناء على الشعر وجعلوه كالحلة بالنسبة إليه إن لم يلبسها(طويت) وحددوا البروز الأسلوبي الذي يبنى عليه اللحن في الوزن وجعلوه قاعدة له : فالأوزان قواعد الألحان والأشعار معايير الأوتار))⁽¹⁷⁾ .

ولا شك إن العرب ((كان أكثر شعرهم غنائياً أو موسيقياً ، يعبرون به عن إحساسهم ويصورون به شعورهم وهو يصدر عن أربعة فواعل : الرغبة ، والرغبة ، والطرب ، والغلبة))⁽¹⁸⁾ .

مما جعلهم ميالين بالفطرة إلى الشعر الغنائي والموسيقى منذ أقدم العصور ، ولدينا من الدلائل ما يؤكد غنائية شعرنا العربي القديم منها إن المهلهل بن ربيعة (ت530هـ) أقدم شعراء الجاهلية المعروفين قد غنى في قصيدته :-

طفلة ما ابنة المهلهل بيضاء لعوب لذيدة في العناق .⁽¹⁹⁾

ويقال هلهل الشعر : أي طول القصائد ، وإنما سمي مهلهلاً ، لأنه أول من هلهل الشعر وقصد القصائد⁽²⁰⁾ وقالوا أيضاً : ((أشعر الناس امرؤ القيس إذا ركب ... والأعشى إذا طرب))⁽²¹⁾ إذ إن الأخير ((كان يلقب صناجة العرب))⁽²²⁾ وذلك بسبب غنائية شعره ، ووردت لفظة (الغناء) أيضا في شعر الأعشى (ت629م) في قوله⁽²³⁾ :-

قاصدٌ وجهها تزور بني الحا رث أهل الغناء عند الشروب

كذلك وردت في شعر حسان بن ثابت (ت54هـ) حين قال قديماً⁽²⁴⁾ :

تَعْنُ بالشعرِ ما كُنْتَ قائله إِنَّ الغناءَ لهذا الشعرِ مضمارٌ

ولا شك إن للغناء العربي أثره البين في استعمال الآلات الموسيقية ولعل من أهمها العود إذ يروى إن ((أول من صنع العود : لامك بن قابيل بن ادم ، وبكى منه على ولده ويقال إن صانعه بطليموس صاحب الموسيقى وهو كتاب

اللون الثمانية))⁽²⁵⁾ وقد ذكر شعراء عصر قبل الإسلام تلك الآلات الموسيقية في نصوصهم الشعرية وربما أقدمها في شعر امرؤ القيس (ت540هـ) في قوله⁽²⁶⁾ :

وان أمسٍ مكروباً فيارب قَيْنَةً

مُنْعَمَةً أَعْمَلَتْهَا بِكَرَانَ

لها مزهراً يعلو الخميس بصوته

أَجَشُّ إِذَا مَا حَرَكْتَهُ الْيَدَانِ

يشير الشاعر في هذين البيتين إلى الغناء والآلات الموسيقية التي تكمن في كل من ((القينة : الجارية الضاربة بالعود المغنية ، وهي الأمة أيضا . والكران العود الذي يضرب به . والمزهر أيضاً : العود))⁽²⁷⁾ . وهو ما أشار إليه أيضاً ابن عبد ربه الأندلسي في كتابه (العقد الفريد) إذ قال : ((كانت العرب تسمى القينة الكرينة ، والعود ، الكرّان ، والمزهر أيضاً هو العود ، وهو البربط))⁽²⁸⁾ . وها هو ذا الشاعر الأعشى ميمون بن قيس (ت 629م) الذي يعد رائد الغناء والطرب يقول⁽²⁹⁾ :

وشاهدنا الورد والياسمي نُّ ، والمسمعاتُ بقصابها

ومزهرنا معملٌ دائمٌ فأَيَ الثلاثةِ أزرى بها

ترى الصبحُ يبكي له شجوهُ مخافة أن سوف يدعى بها

ويقول⁽³⁰⁾ :

إذا قلت غني الشرب قامت بمزهرٍ يكادُ إذا دارت له الكف ينطق

ويقول⁽³¹⁾ :

ومستجيبٍ تَخَالُ الصنْجُ يسمعه
 إذا ترَجَّعُ فيه القينةُ الفضلُ
 وهذا لبيد بن ربيعة (662م) يقول (32) :

بصباحٍ صافيةٍ ، وجذبٍ كرينةٍ
 بمونزٍ ، تَأْتَالُهُ إِبْهَامُهَا

إن هذه الإشارات التي وردت في أشعار الجاهلين لتدل دلالة واضحة إلى إن الغناء وآلاته كانت كثيرة في أدب عصر قبل الإسلام وبذلك ((يكاد الإنسان لا يقرأ ديوان شعر جاهلي لشاعر مهم إلا ويجد فيه ذكر الشراب والغناء)) (33) ولكن الذي يتمعن في غناء هذا العصر يجد ((إنه لم يكن هناك قواعد مرسومة للغناء في العصر الجاهلي ، فهؤلاء المغنون من قيان وغير قيان لم يكونوا يتبعون نظاماً خاصاً في غنائهم ، بل كان يغني حسب شعوره وعواطفه وما يريد من تأثير في سامعيه ، إذ كان العرب لا يزالون أميل إلى الفطرة في حياتهم)) (34) .

ونرتد من العصر الجاهلي إلى العصر الإسلامي إذ إن هذا العصر شهد ((موجة واسعة من الغناء والرقص كان لها تأثير شديد في نمو الشعر الغنائي الخالص ونمو مقطوعاته وهي حالة تعتبر في الواقع امتداداً لما كان عليه القوم في العصر القديم)) (35) لذلك ظل الحدااء يتغنى به العرب في عصر صدر الإسلام . فقد جاء في صحيح مسلم إنه ((كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم حاد حسن الصوت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم رويداً يا أنجشة لا تكسر القوارير)) (36) .

ذهب العلماء في تفسير معنى الحديث النبوي المذكور آنفاً إلى قولين :-
 الأول :- ((إنَّ أنجشة كان حسن الصوت وكان يحدو بهن وينشد شيئاً من القريض والرجز وما فيه تشبيب فلم يأمن إن يفتتهن ويقع في قلوبهن حداوة)) (37) .

أما القول الثاني : فأنهم ذهبوا إلى ((إن المراد به الفرق في السير لان الأبل إذا سمعت الحداء أسرع في المشي واستلذته فأزعجت الراكب وأتعبته فنهاه عن ذلك لان النساء يضعفن عند شدة الحركة ويخاف ضررهن وسقوطهن))⁽³⁸⁾ .

نفهم من خلال ذلك إنه ((لم يزل الحداء وراه الجمال من عادة العرب في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان الصحابة رضي الله عنهم وما هو إلا إشعار تودى بأصوات طيبة والحن موزونة ولم ينقل عن احد من الصحابة إنكاره ، بل ربما كانوا يلتزمون ذلك تارة لتحريك الجمال وتارة للاستلذاذ))⁽³⁹⁾ .

فضلاً عن وجود شواه د دينية واجتماعية على استحسان الأصوات العذبة المطربة . أول شاهد على ذلك قوله تعالى : **چ تي چج شم ثي ثي چ**⁽⁴⁰⁾ . فهذا النص القرآني يدل ((على مدح الصوت الحسن))⁽⁴¹⁾ .

ومن السنة النبوية إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي موسى الأشعري وقد أعجبه صوته الحسن : ((لقد أوتيت زمراً من زمير آل داود))⁽⁴²⁾ .

وذلك لان نبي الله داود (عليه السلام) ((كان حسن الصوت في النياحة على نفسه وفي تلاوة الزبور حتى كان يجتمع الإنس والجن والوحوش والطيير لسماع صوته))⁽⁴³⁾ ولعل الترغيب في الصوت الحسن كما تقدم كونه ((يسري في الجسم ، ويجري في العروق فيصفوا له الدم ، ويرتاح له القلب ، وتنمو له النفس ، وتهتز الجوارح وتخف الحركات ، ومن ذلك كرهوا للطفل أن ينوم على اثر البكاء حتى يرقص ويضطرب))⁽⁴⁴⁾ . وبذلك فان للصوت الحسن تأثير نفسي فسيولوجي على النفس .

وروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم إنه ((قال لعائشة : أهديتم الفتاة إلى بعليها ؟ قالت : نعم . قال : فبعثتم معها من يغني ؟ قالت لا . قال : أو ما علمت أن الأنصار قوم يعجبهم الغزل ، ألا بعثتم معها من يقول ؟ :

أتيناكم أتيناكم فحيونا نُحييكم

ولولا الحبة السمرا ء لم نحلل بواديكم (((45)

يقول د. ناصر الدين الأسد : ((ولعل في قوله ، صلى الله عليه وسلم :
إن الأنصار أناس فيهم غزل ، ما يشير إلى استئراء هذا الفن بينهم وتمكنه
فيهم)) (46)

وقد أورد الزمخشري (ت538هـ) في كتابه (الفائق في غريب الحديث) من
((إن أبا بكر ، رضي الله عنه ، دخل على عائشة وعندها قينتان تغنيان في أيام
منى وتد ففان وتطربان ، والنبي صلى الله عليه وسلم ، متقشُ بثوبه ، فانتهرهما أبو
بكر ، رضي الله عنه ، فكشف النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وجه وقال : دعهما
يأبأ بكر فأنهما أيام أعياد)) (47) .

يتضح من خلال الحديثين المذكورين أنفاً إن الرسول صلى الله عليه وسلم
أباح استخدام الغناء في بعض من المناسبات الاجتماعية والمسوغ في ذلك هو أن ((
السماع في أوقات مباح إن كان ذلك السرور مباحاً كالغناء في أيام العيد وفي
العرس وفي وقت قدوم الغائب وفي وقت الوليمة والعقيقة وعند ولادة المولود وعند
ختانه وعند حفظه القرآن العزيز ، وكل ذلك مباح لأجل إظهار السرور به ، ... ،
فكل ما جاز السرور به جاز إثارة السرور فيه)) (48) .

ويدخل ضمن ذلك أيضا استقبال الرسول الأعظم (صلى الله عليه وسلم)
من قبل ((نساء المدينة ... بالدفوف والمعازف ويغنين

طلّع البدرُ علينا من ثنياتِ الوداع

وجبَ الشُّكرُ علينا ما دعا لله داع

أيها المبعوثُ فينا جئتُ بالأمرِ المطاعِ)) (49)

وهذا ما دفع د. شوقي ضيف إلى القول : ((إن الغناء كان شائعاً في المدينة))⁽⁵⁰⁾ .

ولكن الغناء أصيب بشيء من الفتور في زمن الخليفين أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب (رضي الله عنهم جميعاً) إذ لم يشع الغناء لا في عهد أبي بكر ولا في عهد عمر بن الخطاب⁽⁵¹⁾ وذلك بسبب موقفهما الحازم منه فقد روي إن الخليفة الثاني ((خرج يوماً فإذا جوارٍ يضرين بالدف ويغنين ويقلن :

تَغْنَيْنَ تَغْنَيْنَ فَللهو خَلَقْتَنَ

فجعل عمر يضرب رؤوسهن بالدرّة ، ويقول : كذبتن كذبتن فأخرى الله شيطاناً رمى هذا إليكن))⁽⁵²⁾ إلا إنه رضي الله عنه كان يطلب من بعض الشعراء التغني بالشعر عن طريق الإنشاد وهذا يتضح حين قال ((للنابغة الجعدي اسمعني بعض ما عفا الله من غنائك يريد من إنشادك))⁽⁵³⁾ وفي ضوء ما سبق يمكن القول : إن النصوص التي وردت سابقاً تشير إلى ضرورة تهذيب ممارسة الغناء ما لا يتعارض مع القيم الدينية ، أي تحرير ما كان يوطر فن الغناء من عادات جاهلية مرفوضة .

وقد ورد أيضاً إن الغناء استخدم في بث روح العزيمة والحماس في نفوس المقاتلين وهذا يتضح حين ((قامت هند بنت عتبة مع النسوة اللاتي معها ، وأخذن الدفوف يضرين بها خلف الرجال ، ويحرضنهم ، فقالت هند فيما تقول :

ويها بني عبد الدار ويها حماة الإدبار

ضرباً بكل بتار

أن تقبلوا نعانقُ ونفرش النمارق

أو تدبروا نفاق فراق غير وامق))⁽⁵⁴⁾

وإذا انتقلنا إلى العصر الأموي فإننا نجد النصوص حافلة بإخبار الآلات الموسيقية والمغنين وغيرهم ، إذا اشتهر هذا العصر بمجالس غنائه التي جمعت المشاهير من المغنين والمغنيات وكان من أبرزهم :

طويس : وهذا ليس اسمه وإنما ((لقبه غلب عليه ، واسمه عيسى بن عبد الله ، وكنيته أبو عبد المنعم))⁽⁵⁵⁾ وهو يعد ((أول من غنى بالعربي بالمدينة ، ... ، وكان لا يضرب بالعود إنما كان يضرب بالدف ، ... ، وأول غناء غناه وهزج به :

كيف يأتي من بعيد	وهو يخفيه القريب
نازح بالشام عنا	وهو مكسال هبوب
قد براني الحب غنى	كدت من وجدى أدوب ⁽⁵⁶⁾

وقد أورد بعض من الأدباء أخبار تشير إلى المنافسة التي وقعت بينه وبين مغني مكة ابن سريج الذي ((قدم ... المدينة فغنى فاستظرف الناس غناؤه وآثروه على كل من غنى واطلع عليهم طوبيس فسمعهم يقولون ذلك ، فأستخرج دفاعاً عن حضنه ثم نقر وغناءهم بشعر عمارة بن الوليد المخزومي في خولة بنت ثابت ، ... ، وهو :

تناهى فيكم وجدي	وصرع حبكم كبدي
فقلبي مسعراً حزناً	بذات الخال والخد
فما لاقى اخو عشقٍ عشير	العشر من جهدي

فاقبل عليهم ابن سريج وقال : والله هذا أحسن غناء))⁽⁵⁷⁾ . ويبدو إن طويس استخدم الإيقاع الخفيف في غنائه وذلك من خلال استعماله لآلة الدف .

وقد اشتهر أيضاً سائب بن خاثر مولى بني ليث إذ أشار أبو الفرج الأصفهاني (ت 356هـ) إلى إن ((أول صوت غنى به في الإسلام من الغناء العربي المتقن الصنعة قوله :

لمن الديار رسومها قفر))⁽⁵⁸⁾ .

وكذلك قيل عنه ((أول من عمل العود بالمدينة وغنى به))⁽⁵⁹⁾ . وهناك معبد بن وهب (ت 743م) من موالي بني مخزوم ومن أعلام الغناء في المدينة ويلقب بفحل المغنين وإمام أهل المدينة في الغناء ، وقد درس الغناء على سائب خاثر ونشط مولى عبد الله بن جعفر ، وجميلة⁽⁶⁰⁾ .

فقد كان بعض خلفاء بني أمية يفاضلون بينه وبين المغني سريح فهذا يزيد بن عبد الملك يقول له : ((إن الذي أجده في غنائك لا أجده في ابن سريح ، أجد في غنائك متانة ، وفي غناؤه انحناؤاً وليناً))⁽⁶¹⁾ . في حين برزت من المغنيات جميلة وهي ((مولاة بني سليم ثم مولاة بطن منهم يقال لهم بنو بهز))⁽⁶²⁾ إذ إنها تعتبر ((أصل من أصول الغناء ، ... ، وكان معبد يقول : أصل الغناء جميلة وفرعه نحن ، ولولا جميلة لم نكن نحن مغنين))⁽⁶³⁾ وقد كان الناس يعجبون بصوتها وبغنائها على العود إذ روى أبو الفرج الأصفهاني ذلك فقال : ((إن الناس اجتمعوا عند جميلة فضربت ستاراً واجلبت الجواري كلهن فطربن وطربن ، فضربن على خمسين وتراً فتزلزت الدار ، ثم غنت على عودها وهن يضربن على ضربها))⁽⁶⁴⁾ .

ومن القينات المغنيات سلامة القس (ت 748هـ) ، وهي تعد ((مولدة من مولدات المدينة ، وبها نشأت ، وأخذت الغناء عن ابن معبد وابن عاشة وجميلة ومالك ...))⁽⁶⁵⁾ وافر أبو الفرج الأصفهاني إلى إن أول صوت غنته حين ((قدم

يزيد ابن عبد الملك مكة وأراد شراء سلامة القس وعرضت عليه أمرها إن تغنيه ،
فكانت أول صوت غنته :

إن الذي طرقتك بين ركائب

تمشي بمزهرها وأنت حرام

والبيض تمشي كالبدور وكالرمي

ونوا غم يمشين في الأرقام

لتصيد قلبك أو جزاء مودة

إن الرفيق له عليك زكاً

فأستحسنه يزيد فاشتراها ((⁶⁶) .

ولاشك إن لتشجيع الخلفاء والولاة في العصر الأموي للغناء والمغنين الأثر
الكبير في تطوير الغناء والموسيقى في هذا العصر الحافل والزاهر بكل شيء إلا أنه
بالرغم مما جاء في بعض المصادر التاريخية التي تناولت تلك الحقيقة الزمنية من
إن بعض الخلفاء الأمويين كانت لهم كراهية محددة للموسيقى والغناء مثل قول عمر
بن عبد العزيز حين كتب إلى يزيد بن حبيب قائلاً له :

((امنع الذين يضربون البرابط ، ودع الذين يضربون بالدقاف فان ذلك

يفرق بين النكاح والسفاح)) (⁶⁷) . غير إننا نجد خلفاء بني أمية بصورة عامة كانوا

ميالين إلى سماع الغناء والموسيقى ، فقد ورد في كتاب (البيان والتبيين) للجاحظ

(ت255هـ) في خطبة لأبي حمزة الخارجي من إن يزيد بن عبد الملك كان يضع ((

... حباة عن يمينه وسلامة عن يساره تغنيانه ...)) (⁶⁸) .

كما نجد إن معاوية بن أبي سفيان الذي نصب أول خليفة لبني أمية يقول :

((كل كريم طروب)) (⁶⁹) ليس ذلك فحسب بل كان يجزي المغنين على غنائهم إذ

((حدث إن معاوية بن أبي سفيان استمع على يزيد ذات ليلة ، فسمع عنده غناء

أعجبه ، فلما أصبح قال له : من كان مُلهيكَ البارحة ؟ قال : سائب حائر . قال :

فأكثر له من العطاء)) (⁷⁰) .

وكان الوليد بن يزيد في أيام خلافته ((يضرب بالعود ويوقع بالطبل ويمشي بالدف على مذهب أهل الحجاز))⁽⁷¹⁾ وهو حين يستمع إلى الغناء تطرب نفسه ويقول : ((لجواريه : افعلن كما افعل وجعل يدور في الدار ويدرن معه وهو يقول :

يا دار دوريني	يا قرقر امسكيني
أليت منذُ حين	حقاً لتصرميني
ولا تواصليني	بالله فارحميني
لم تذكرني يميني	

... فلم يزل يدور كما يدور الصبيان ويدرن معه ، حتى خر مغشياً عليه ...))⁽⁷²⁾ وخلافاً لما كان عليه الغناء في الجاهلية ، فقد شهدت القرون الأولى من العصر الإسلامي نقلة نوعية في فنون الغناء وأوزانه ففي هذا العصر ((قل النظم على الأوزان الطويلة التي عرفت في العصر الجاهلي من مثل البسيط والطويل والكامل ، وحلت محلها أوزان أخرى كثر النظم فيها من مثل الوافر والمديد والسريع والخفيف والرمل والمتقارب والهجج))⁽⁷³⁾ . كما يتضح ذلك في ((صوت ابن سريج وهو من مجزوء الخفيف :

قُلْ هِنْدٍ وَتَرِبَهَا	قبل شحط النوى غدا
إن تجودي فطالما	بِتُّ لَيْلَى مُسَهَّداً)) ⁽⁷⁴⁾ .

فأصبح الغناء مشتتلاً على طابع فريد يستمد قوته من التسابق على انتخاب القصائد ذات الأوزان الخفيفة وكذلك على الإبداع الموسيقي وشكل الأداء فساقه إلى التنوع الموسيقي الآلي .

ويقال ذات الشيء على أغراض الغناء فهي الأخرى أيضاً شهدت تحولاً في هذا العصر لا سيما غرض الغزل فقد كان عمر بن أبي ربيعة ((أكبر شاعر غزل أنتجته حركة الغناء في مكة لهذا العصر))⁽⁷⁵⁾ .

وأخيراً أقول إن لسعة هذا الموضوع وتشعب موضوعه وفنونه وأوزانه فأنتني اعترف بتقصيري وعجزتي لكوني على ثقة من انه لو أعيد النظر في هذا البحث لتغير تبويبه وعرضه وأسلوبه في بعض الجوانب وإخلاله في الاختصار في جوانب أخرى ... فلي العذر على كل حال من هذه العجالة السريعة .

نتائج البحث

من أبرز النتائج التي توصل إليها الباحث من خلال هذا البحث هي كالاتي

-:

أولاً :- إن فن الغناء والموسيقى من الظواهر الفنية العريقة التي صاحبت الحياة البشرية منذ فترة مبكرة من تاريخها الديني والشعري .

ثانياً :- كان الغناء بمثابة مرشد عروضي لشعراء عصر قبل الاستلام إذ استطاع أن ينبه فحول الشعراء إلى أخطائهم العروضية التي كانوا يقعون بها لاسيما في قوافي قصائدهم كما حدث ذلك مع النابغة الذبياني .

ثالثاً :- إباحة الغناء في بعض المناسبات الاجتماعية التي تتفق مع مبادئ الإسلام في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) وفي عهد الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم أجمعين) ما عدا خلافتي أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب كما اشرنا إلى ذلك من خلال الاحاديث والروايات التي أسلفنا ذكرها.

رابعاً :- تشجيع خلفاء بني أمية لفن الغناء المصحوب ببعض الآلات الموسيقية مثل العود والدف، إذ كانت مجالس الخلفاء في العصر الأموي تزخر بالمغنين

والمغنيات الذين كانوا يترنمون بأصواتهم من أجل الحصول على الأموال
التي تساعد على شطف العيش والمعيشة .

خامساً :- إن حركة الغناء في العصر الأموي أدت إلى خلق نماذج من شعراء
الغزل الجديد في صورته كعمر بن أبي ربيعة وغيره إذ أصبح شعرهم يسري
على لسان كل مغني ومغنية وذلك لخفة أوزان أشعارهم .

الحمد لله أولاً وأخيراً

الهوامش

- (1) موسيقى الكندي ، زكريا يوسف ، 1.
- (2) الشعر والغناء في المدينة ومكة ، د. شوقي ضيف ، 39 .
- (3) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، المسعودي ، 88 .
- (4) تاريخ آداب اللغة العربية ، جرجي زيدان ، ج1، 59.
- (5) العقد الفريد ، ابن عبد ربة الأندلسي ، ج 7 ، 28-29 .
- (6) الأنفال / 35 .
- (7) ينظر : الشعر والغناء في المدينة ومكة ، 39 .
- (8) ينظر : العقد الفريد ، ج 7 ، 29.
- (9) إحياء علوم الدين ، الغزالي ، ج 2 ، 275.
- (10) ينظر : الغناء للأطفال عند العرب ، أحمد عيسى ، 107 .
- (11) القيان والغناء في الشعر الجاهلي ، د. ناصر الدين الأسد ، 143 .
- (12) المصدر نفسه ، 148 - 149 .
- (13) المصدر نفسه ، 163 - 164 .
- (14) ينظر : الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، ج 1 ، 82 - 83 .
- (15) شرح المعلقات السبع : للزوزني ، 7 .
- (16) الشعر والشعراء ، ج 1 ، 113 .
- (17) شعرية النوع الأدبي في قراءة النقد الأدبي ، رشيد يحيوي ، 138 .
- (18) تاريخ آداب اللغة العربية ، ج 1 ، 61 .
- (19) الأغاني : أبو الفرج الاصبهاني ، ج 5 ، 58 .
- (20) ينظر : في الأدب الجاهلي : طه حسين ، 216 .
- (21) القيان والغناء في الشعر الجاهلي ، 230 .
- (22) المصدر نفسه .
- (23) ديوان الأعشى ، 26 .
- (24) العمدة : ابن رشيق القيرواني ، ج 2 ، 241 .

- (25) العقد الفريد ، ج 7 ، 29 .
- (26) ديوان امرؤ القيس ، 86 .
- (27) المصدر نفسه .
- (28) العقد الفريد ، ج 7 ، 29 .
- (29) ديوان الأعشى ، 25 .
- (30) المصدر نفسه ، 118 .
- (31) المصدر نفسه ، 647 .
- (32) شرح القصائد العشر : التبريزي ، 338 .
- (33) الشعر والغناء في المدينة ومكة ، 178 .
- (34) المصدر نفسه ، 41 .
- (35) الفن ومذاهبه في الشعر العربي : د. شوقي ضيف ، 53 .
- (36) صحيح مسلم ، شرح النووي ، ج 15 ، 80 .
- (37) المصدر نفسه ، ج 15 ، 81 .
- (38) المصدر نفسه .
- (39) إحياء علوم الدين ، ج 2 ، 274 - 275 .
- (40) سورة لقمان : الآية / .
- (41) إحياء علوم الدين ، ج 2 ، 271 .
- (42) العقد الفريد ، ج 7 ، 4 .
- (43) إحياء علوم الدين ، ج 2 ، 271 .
- (44) العقد الفريد ، ج 7 ، 4 .
- (45) المصدر نفسه ، ج 7 ، 4 .
- (46) القيان والغناء في الشعر الجاهلي ، 49 .
- (47) الفائق في غريب الحديث ، الزمخشري ، ج 2 ، 388 .
- (48) إحياء علوم الدين ، ج 2 ، 277 .
- (49) القيان والغناء في الشعر الجاهلي ، 48 .

- (50) الشعر والغناء في المدينة ومكة ، 40 .
- (51) ينظر : المصدر نفسه ، 44 .
- (52) البلدان ، ابن الفقيه ، 43 .
- (53) الشعر والغناء في المدينة ومكة ، 178 .
- (54) السيرة النبوية ، ابن هشام ، 326_327 .
- (55) الأغاني ، ج3 ، 27 .
- (56) المصدر نفسه .
- (57) المصدر نفسا ه ، ج3 ، 35 .
- (58) لمصدر نفسه ، ج8 ، 321 .
- (59) المصدر نفسه .
- (60) المصدر نفسه ، ج1 ، 38 .
- (61) المصدر نفسه ، ج1 ، 67_68 .
- (62) المصدر نفسه ، ج8 ، 186 .
- (63) المصدر والصفحة نفسها .
- (64) المصدر نفسه ، ج8 ، 308 .
- (65) المصدر نفسه ، ج8 ، 334 .
- (66) المصدر نفسه ، ج8 ، 339 .
- (67) سيرة عمر بن عبد العزيز ، عبد الله بن الحكم ، 18 .
- (68) البيان والتبيين ، الجاحظ ، ج2 ، 123_124 .
- (69) العقد الفريد ، ج7 ، 21 .
- (70) المصدر نفسه ، ج7 ، 53 .
- (71) الأغاني ، ج9 ، 274 .
- (72) المصدر نفسه ، ج1 ، 67_68 .
- (73) الشعر والغناء في المدينة ومكة ، 55 .
- (74) الأغاني ، ج1 ، 178 .

- (75) الشعر والغناء في المدينة ومكة ، 90 .
- المصادر والمراجع
- القرآن الكريم
- إحياء علوم الدين ، تصنيف الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي
(ت505هـ) ، الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر ، لبنان - بيروت ، المجلد الثاني ، (د.ت) .
- الأغاني : أبو الفرج الأصبهاني علي بن الحسين (356هـ - 976م) ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، مطابع كوستا توماس وشركاه (د.ت) .
- البلدان ، ابن الفقيه ، أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني (في أواخر القرن الثالث الهجري) ، طبعة ابريل ، سنة 1302 هـ .
- البيان والتبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، مطبعة المدني ، الطبعة الخامسة ، (1405هـ-1985م) .
- تاريخ آداب اللغة العربية ، جرجي زيدان ، منشورات دار مكتبة الحياة ، لبنان - بيروت ، 1983م .
- ديوان الأعشى ، ميمون بن قيس ، دار صادر بيروت ، 1966 .
- ديوان امرؤ القيس ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطابع دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثة ، 1969م .
- السيرة النبوية ، لابن هشام ، أبي محمد عبد الملك ابن هشام بن أيوب الحميري (ت213هـ) ، تحقيق : مصطفى السقا ، وإبراهيم الأبياري ، وعبد الحفيظ شلبي ، دار الكتب العلمية ، لبنان - بيروت ، 1428هـ - 2007م .
- سيرة عمر بن عبد العزيز ، ابن عبد الحكم ، طبعة مصر ، (د.ت) .
- شرح القوائد العشر ، صنعة الخطيب التبريزي ، تحقيق : د.فخر الدين قباوة ، نشر وتوزيع المكتبة العربية بحلب ، الطبعة الأولى ، 1388هـ - 1969م .

- شرح المعلقات السبع ، أبو عبد الله الحسين بن احمد الزوزني ، منشورات مكتبة دار البيان للطباعة والنشر ، لبنان- بيروت ، 1990م .
- الشعر والشعراء ، ابن قتيبة (ت276هـ) ، تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر ، دار الحديث القاهرة ، الطبعة الثالثة ، 2001م .
- الشعر والغناء في المدينة ومكة ، لعصر بني أمية ، د.شوقي ضيف ، مطابع دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثة ، 1976م.
- شعرية النوع الأدبي في قراءة النقد العربي ، رشيد يحيوي ، أفريقيا-الشرق ، (د.ت) .
- صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج (ت 261هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان- بيروت ، الطبعة الثانية ، 1392هـ-1972م .
- العقد الفريد ، أحمد بن حمد بن عبد ربه الأندلسي (ت 328هـ) ، تحقيق : د. عبد المجيد الترحيني ، دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان ، الطبعة الأولى ، 1404هـ-1983م ، الطبعة الثانية ، 1406هـ-1986م ، الطبعة الثالثة ، 1407هـ-1987م .
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت456هـ) ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، مصر ، 1383هـ-1963م .
- الغناء للأطفال عند العرب ، أحمد عيسى ، طبعة مصر ، 1943م .
- الفائق في غريب الحديث ، جار الله أبو القاسم الزمخشري (ت538هـ) ، تحقيق : البجاوي وأبي الفضل إبراهيم ، القاهرة ، 1945م .
- الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، القاهرة ، الطبعة السابعة ، 1969م .
- في الأدب الجاهلي ، طه حسين ، دار المعارف بمصر ، الطبعة التاسعة ، 1927م .

-
- القيان والغناء في العصر الجاهلي ، د. ناصر الدين الأسد ، مطابع دار المعارف بمصر ، 1969م ، الطبعة الأولى ، (بيروت) 1960 ، الطبعة الثانية ، 1968م .
- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، علي بن الحسن بن علي المسعودي (ت 346هـ) ، طبعة باريس ، (د.ت) .
- موسيقى الكندي ، زكريا يوسف ، طبعة بغداد، 1962م 0

